

الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل

[215] 5 - صحيح أن جبرئيل ملك له مقام رفيع، إلا أنَّهُ من المقطوع به أن مقام
الذَّبي أعلى منه شأنًا: كما ورد في قصَّة المعراج أنَّهُ كان يصعد - في المعراج - مع
الذَّبي فوصلا إلى نقطة فتوقَّف جبرئيل عن الصعود وقال للنبي: "لو دنوت قيد أنملة لاحتُرقت"
إلا أنَّ الذَّبي واصل سيره وصعوده!. فمع هذه الحال فإنَّ رؤية جبرئيل في صورته الأصلية لا
تناسب والأهميَّة المذكورة في هذه الآيات، وبتعبير أكثر بساطة: لم تكن رؤية الذَّبي
لجبرئيل على تلك الأهميَّة .. فمع أنَّ هذه الآيات اهتمَّت بهذه الرؤية إهتماماً بالغاً! 6
- جملة: (ما كذب الفؤاد ما رأى) هي أيضاً دليل على الرؤية القلبية لا البصرية الحسِّيَّة
لجبرئيل. 7 - ثمَّ بعد هذا كلِّه فما ورد من الروايات عن أهل البيت لا يفسِّر هذه الآيات
بأنَّها في رؤية الذَّبي لجبرئيل، بل الروايات موافقة للتفسير الثاني القائل بأنَّ
المراد من هذه الآيات الرؤية الباطنية (القلبية) لذات الله المقدَّسة التي تجلَّت للرسول
وتكرَّرت في المعراج واهتزَّ لها الذَّبي وهالته(1). ينقل الشيخ الطوسي في أماليه عن ابن
عبَّاس عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أنَّهُ قال: "لمَّا عُرِّج بي إلى السماء دنوت
من ربِّي عزَّ وجلَّ حتَّى كان بيني وبينه قاب قوسين أو أدنى"(2). وينقل الشيخ الصدوق (رحمه
الله) في علل الشرائع المضمون ذاته عن هشام بن الحكم عن الإمام موسى بن جعفر (عليه السلام)
من حديث طويل أنَّهُ قال: "فلمَّا أُسري بالذَّبي وكان من ربِّه كقاب قوسين أو أدنى رُفِعَ
له حجاب من دُجُبه"(3). 1 - في دعاء الندية تعبیر يناسب
هذا المعنى أيضاً إذ يقول: يا بن من دنا فتدلَّى فكان قاب قوسين أو أدنى دنواً وإقتراباً
من الملأ الأعلى وفي ذيل هذا الدعاء ورد بعض القاب الله "شديد القوى" إذ يقول: وأره سيِّده
يا شديد القوى .. 2 - نور الثقلين، ج5، ص149. 3 - المصدر السابق.